فني ذلك دلالة على انه تعالى عالم بجميع المعلومات غني عن جميع الحاجات فان
قيل ان الله تعالى وصف القران بكونه تنزيلا ومنزلا وهذا الوصف لا يليق
الا بالمحدث المخلوق اجيب بان ذلك محمول على الصيغ والحروف انا
اي بما لنا من العظمة انزلنا اليك الكتاب يا اشرف الخلق خاصة بواسطة الملك
الكتاب اي القران الجامع لكل خير وقوله تعالى بالحق يجوز ان
يتعلق بالانزال اي بسبب الحق وان يتعلق بمحذوف على انه حال من
الفاعل او المفعول وهو الكتاب اي ملتبسين بالحق او ملتبسا بالحق
والصدق والصواب والمعنى ان كل ما فيه من اثبات التوحيد
والنبوة والمعاد وانواع التكاليف فهو حق يجب العمل به وفي قوله
تعالى انا انزلنا اليك الكتاب تكرير تعظيم بسبب تكراره في جملة اخرى
مضافا انزاله الى المعظم نفسه فان قيل لفظ تنزيل يشعر بانه
تعالى انزله نجما نجما على وفق المصالح على سبيل التدريج ولفظ
الانزال يشعر بانه تعالى انزله دفعة واحدة اجيب بان طريق
الجمع ان يقال انا حكمنا حكما كليا بانا نوصل اليك هذا الكتاب
وهذا هو الانزال ثم اوصلناه اليك نجما نجما على وفق المصالح
ولما بين تعالى ان هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق اردفه
ببيان بعض ما فيه من الحق والصدق وهو انه يشتغل الانسان
بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص فقال سبحانه فاعبد الله اي
الحائز لجميع صفات الكمال حال كونك مخلصا له الدين اي
ممحضا له الدين من الشرك والريا بالتوحيد وتصفية السر الا
لله اي الملك الاعلى وحده الدين الخالص اي لا يستحقه غيره
فانه المنفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر
قال قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وقال
الاية متناولة لكل ما كلف الله به من الاوامر والنواهي لان قوله
تعالى فاعبد الله عام وروي ان امراة الفرزدق لما قربت وفاتها
اوصت ان يصلي الحسن البصري عليها فلما دفنت قال الحسن
البصري يا ابا فراس ما الذي اعددت لهذا الامر قال شهادة
ان لا اله الا الله فقال الحسن هذا العمود واين الطنب قال
ابن عادل وبين بهذا اللفظ الوجيز ان عمود الخيمة لا ينتفع به
الا مع الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة اي الانتفاع الكامل
والا فهو ينتفع بها ولكن راس العبادات الاخلاص في التوحيد
واتباع الاوامر واجتناب النواهي والذين اتخذوا من دونه اي من دون الله
اولياء وهم كفار مكة اتخذوا الاصنام وقالوا ما نعبدهم اي

لشيء من الاشياء الا ليقربونا الى الله اي الذي له معاقد العز ومجامع العظمة
زلفى وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق
السموات والارض قالوا الله فيقال فما عبادتكم لهم قالوا ليقربونا الى الله
زلفى اي قربى وهو اسم اقيم مقام المصدر كانهم قالوا الا ليقربونا الى الله
تعالى تقريبا احسانا سهلا وتشفع لنا عند الله ان الله اي الذي له
جميع صفات الكمال يحكم بينهم اي وبين المسلمين فيما هم فيه يختلفون
اي من امر الدين فيدخل المومنين الجنة والكافرين النار ان الله اي
الملك القادر لا يهدي اي لا يرشد من هو كاذب اي في قوله ان الالهة
تشفع مع علمه بانها جمادات خسيسة وفي نسبة الولد الى الله تعالى
كفار اي بعبادته غير الله تعالى لو اراد الله اي الذي له الاحاطة
بصفات الكمال ان يتخذ ولدا كما قالوا اتخذ الرحمن ولدا لاصطفى اي
اختار مما يخلق ما يشاء اي اتخذ ولدا غير من قالوا الملائكة بنات الله
وعزير ابن الله والمسيح ابن الله كما قال لو اردنا ان نتخذ لهوا اي
كما زعموا لاتخذناه من لدنا اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه ومن
البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم نزه نفسه
سبحانه فقال تعالى سبحانه اي تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطرها ربه
ثم اقام الدليل على هذا التنزيه المقتضي لتفرده فقال تعالى هو اي
الفاعل لهذه الفعال القايل لهذه الاقوال الله اي الجامع لجميع
صفات الكمال ثم ذكر من الاوصاف ما هو كالعلة لذلك فقال
تعالى الواحد اي في ملكه الذي لا شريك له ولا ولد ولا والد له
القهار اي الغالب الكامل القدرة فكل شيء عن قدره ولما ثبتت
هذه الصفات التي نفت ان يكون له شريك او ولد واثبتت له الكمال
المطلق استدل على ذلك بقوله تعالى خلق السموات والارض اي ابدعهما
من العدم وقوله تعالى بالحق متعلق بخلق لان الدلايل التي يذكرها
الله تعالى في اثبات الالهية اما ان تكون فلكية او ارضية اما
الفلكية فاقسام احدها خلق السموات والارض وثانيها
اختلاف الليل والنهار كما قال تعالى يكور اي يدخل الليل على النهار
ويكور النهار على الليل قال الحسن ينقص من الليل فيزيد في النهار
وينقص من النهار فيزيد في الليل فما نقص من الليل دخل في النهار وما
نقص من النهار دخل في الليل قال البغوي ومنتهى النقص تسع
ساعات ومنتهى الزيادة خمسة عشر ساعة وقال قتادة هو
يغشي هذا هذا كما قال تعالى يغشي الليل النهار وقال الرازي
ان النور والظلمة عسكران عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذاك وذاك هذا

Copyright © King Saud University